

## باب السنة

# « أعظم الذنوب عند الله تعالى »

إعداد: زكريا حسيني محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه... وبعد:  
فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه  
قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: « أن تجعل لله نداً وهو  
خالقك ». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: « ثم أن تقتل ولدك مخافة  
أن يطعم معك ». قلت: ثم أي؟ قال: « ثم أن تزاني حليلة جارك ».

### « مواضع الحديث »

تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ  
الْعَالَمِينَ ﴾، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ  
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ  
أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ  
أَشْرَكَتَ لِيَ خَبَطُنَ عَمَلِكَ... ﴾ إلى  
﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾.

والموضع السابع برقم (٧٥٣٢) في  
كتاب التوحيد أيضاً باب قول الله: ﴿ يَا  
أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ  
لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾.

كذلك أخرجه الإمام مسلم في كتاب  
الإيمان باب « بيان كون الشرك أقبح  
الذنوب وبيان أعظمها بعده ».

وأخرجه أبو داود برقم (٢٣١٠) في  
الطلاق باب « تعظيم الزنى »، وأخرجه  
الترمذي من طريقين برقم (٣١٨٣) في  
التفسير باب « ومن سورة الفرقان ».

### « راوي الحديث »

قال الذهبي: عبد الله بن مسعود بن  
غافل بن حبيب بن شَمَخ بن فار بن مخزوم

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في  
سبعة مواضع من صحيحه مع اختلاف  
يسير في اللفاظ، نشير إليها عند الشرح  
إن شاء الله تعالى، أما الموضع الأول ففي  
كتاب التفسير باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا  
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ورقمه  
(٤٤٧٧)، والموضع الثاني برقم (٤٧٦١) في  
باب قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ  
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ ﴾ الآية.

والموضع الثالث برقم (٦٠٠١) في كتاب  
الأدب باب قتل الولد خشية أن ياكل معه،  
والرابع برقم (٦٨١١) في كتاب الحدود  
باب إثم الزناة وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا  
يَزْنُونَ ﴾، والخامس برقم (٦٨٦١) في كتاب  
الديات باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ  
مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا  
فِيهَا... ﴾ الآية، والموضع السادس برقم  
(٧٥٢٠) في كتاب التوحيد باب قول الله  
تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا ﴾ وقوله

من الأرض (أي مكان مرتفع) وقعدت أسفل منه، فاغتنتم خلوته، فقلت: بأبي وامي أنت يا رسول الله، أي الذنوب أكبر؟ وهكذا ترى هذا الحرص من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم على اغتنام الفرص للتعلم من رسول الله ﷺ والازدياد من المعرفة النافعة لدين المرء.

□ قوله: «أي الذنوب أعظم؟» وفي بعض الروايات: «أكبر؟» وفي بعضها: «عند الله أكبر؟». وفي بعضها: «أعظم عند الله؟». والمراد بالأعظم الأكبر عند الله تعالى، فليس هناك ذنب أعظم ولا أكبر منه.

قال ﷺ: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». وفي رواية: «أن تدعوا لله نداً». والند - بكسر النون -: النظير. ويقال أيضاً: النديد وهو الشبيه والمثيل والشريك.

#### □ إثبات خلق الله تعالى لأفعال العباد □□

ونقل ابن حجر رحمه الله تعالى عن ابن بطال قوله: غرض البخاري في هذا الباب «باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾، وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ من كتاب التوحيد، غرض البخاري في هذا الباب إثبات نسبة الأفعال كلها لله تعالى، سواء كانت من المخلوقين خيراً أو شراً، فهي لله تعالى خلق وللعباد كسب، ولا ينسب شيء من الخلق لغير الله تعالى، فيكون شريكاً ونداً ومساوياً له في نسبة الفعل إليه.

وقد نبه الله تعالى عباده على ذلك بالآيات المذكورة وغيرها المصرحة بنفي الأنداد والآلهة المدعوة معه، فتضمنت الرد على من يزعم أنه يخلق أفعاله. وقال الكرمانى: الترجمة مشعرة بأن المقصود

بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدرى. كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علماً كثيراً.

حدث عنه طائفة من الصحابة، وكثير من التابعين، وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن نضيلة وطائفة. اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين حديثاً، وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثاً، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثاً، وله عند بقيء بالمكر ثمانمائة وأربعون حديثاً.

قال قيس بن أبي حازم: رأته أدم خفيف اللحم. وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان عبد الله رجلاً نحيفاً قصيراً شديد الأدمة، وكان لا يغير شيبه.

وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان عبد الله لطيفاً فطناً. قال الذهبي: كان معدوداً في أذكى العلماء. وكان يعرف بامه أيضاً؛ فيقال: ابن أم عبد، قال: كُنْأني رسول الله ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يولد لي. وعن نويغ مولى ابن مسعود قال: كان عبد الله من أجود الناس ثوباً أبيض، وأطيب الناس ريحاً.

#### □ شرح الحديث □□

#### حرص الصحابة على تعلم العلم

قول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت أو سئلت رسول الله ﷺ، ولأحمد عن ابن مسعود: جلس رسول الله ﷺ على نَشْرٍ

إثبات نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى، فكان المناسب ذكره في أوائل «كتاب التوحيد»، لكن ليس المقصود هنا ذلك، بل المراد كون أفعال العباد بخلق الله تعالى. إذ لو كانت بخلقهم لكانوا أنداداً لله تعالى وشركاء له في الخلق، وتضمن الرد على الجهمية في قولهم: لا قدرة للعبد أصلاً، وعلى المعتزلة، حيث قالوا: لا دخل لقدرة الله تعالى فيها، والمذهب الحق: أن لا جبر ولا قدر بل أمر بين أمرين.

ولقد أطال ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا الموضوع، حيث نقل كلام الإمام البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» والرد على من قال إن القرآن مخلوق، ونقل قول الإمام أحمد قالوا بمسالة اللفظ وسماهم اللفظية وهم من قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق. ثم نقل رحمه الله التوفيق بين مسلك البخاري ومسلك الإمام أحمد رحمهما الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاغْبُثْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

قال الطبري: هذا من الكلام الموجز الذي يراد به التقديم، والمعنى: ولقد أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، وأوحى إليك من قبلك مثل ما أوحى إليك من ذلك، ومعنى ليحبطن: ليبطلن ثواب عملك. اهـ.

قال ابن حجر: والغرض هنا تشديد الوعيد على من أشرك بالله، وإن الشرك محذر منه في الشرائع كلها، وأن للإنسان عملاً يثاب عليه إذا سلم من الشرك ويبطل ثوابه إذا أشرك.

﴿القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق﴾  
 قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال ابن حجر: أشار بإيرادها إلى ما وقع في بعض طرق الحديث المرفوع في الباب كما تقدم في تفسير سورة الفرقان، ففيه قوله: «أن تزاني بحليلة جارك»، ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية. وكان المصنف أشار بها إلى تفسير الجعل المذكور في الآيتين قبلها، وأن المراد الدعاء؛ إما بمعنى النداء، وإما بمعنى العبادة، وإما بمعنى الاعتقاد.

وقد رد الإمام أحمد على من تمسك من القائلين بخلق القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾. وقال: هي حجة في أن القرآن مخلوق؛ لأن المجعل مخلوق، فناقضه الإمام أحمد بنحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

وذكر ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية أن أحمد رد عليهم بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فليس المعنى فخلقهم، ومثله احتجاج محمد بن أسلم الطوسي بقوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ قال: أفخلقهم بعد أن أغرقهم؟ وعن إسحاق بن راهويه أنه احتج عليه بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾، وعن نعيم بن حماد أنه احتج عليه بقوله تعالى: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، وعن عبد العزيز بن يحيى المكي في مناظرته لبشر المريسي حين قال له: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نص في أنه مخلوق، مناقض بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْنَاهُ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴿١﴾، ويقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.

﴿معاني الجعل في القرآن وفي لغة العرب﴾ ١١١

قال ابن حجر: وحاصل ذلك أن الجعل جاء في القرآن وفي لغة العرب لمعان متعددة. قال الراغب: جعل لفظ عام في الأفعال كلها، ويتصرف على خمسة أوجه؛ الأول: صار، نحو: جعل زيد يقول. قلت: الظاهر أن جعل هنا بمعنى «أنشأ وبدأ».

قال: والثاني: أوجد، كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾. والثالث: إخراج شيء من شيء، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. والرابع: تصيير شيء على حالة مخصوصة، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾. والخامس:

الحكم بالشيء على الشيء، فمثال ما كان منه حقا قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ومثال ما كان منه باطلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾. اهـ.

وأثبت بعضهم سادسا: وهو الوصف، ومثل بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، هذه الآية مطابقة للحديث تمام المطابقة، فالحديث يبين أن أشد الأعمال إثما وأعظمها ذنبا عند الله تعالى هو اتخاذ الشريك والند والنظير والمثيل لله تعالى في العبادة، وفي نسبة الفعل إليه، وكذلك قتل النفس

بغير حق وإن كان عظيما إلا أن قتل الولد أشد قبحا ممن قتل من ليس بولد، ولا سيما إن كان ذلك خشية المشاركة في الرزق، متوهما أنه ينقص من رزق الأب؛ لأن الله تعالى هو الرزاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

وكذلك القول في الزناة، فإن الزنى من أعظم الفواحش، وذلك في عمومها، وهو أشد قبحا عندما يكون بحليلة الجار؛ لاشتيماله على أذى الجار، بالإضافة إلى جريمة الزنى، والجار له حق على جاره، أدناه كفى الأذى عنه، وذلك إن لم يستطع الإحسان إليه. قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

﴿فساد طريقة المتكلمين﴾ ١١١

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: واستدل أبو المظفر السمعاني بآيات الباب وأحاديثه على فساد طريقة المتكلمين في تقسيم الأشياء إلى جسم وجوهر وعرض، قالوا: فالجسم ما اجتمع من الافتراق، والجوهر: ما حمل العرض، والعرض: ما لا يقوم بنفسه، وجعلوا الروح من الأعراض، وردوا الأخبار في خلق الروح قبل الجسد، والعقل قبل الخلق، واعتمدوا على حدسهم وما يؤدي إليه نظرهم، ثم يعرضون عليه النصوص، فما وافقه قبلوه، وما خالفه ردوه، ثم قال: وكان مما أمر النبي ﷺ بتبليغه التوحيد، بل هو أصل ما أمر به، فلم يترك شيئا من أمور الدين وأصوله وقواعده وشرائعه إلا بلغه، ثم لم يدع إلى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من

أصحابه من ذلك حرف واحد فما فوقه، فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم، وسلكوا غير سبيلهم بطريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العود على السلف بالطعن والقدح ونسبتهم إلى قلة المعرفة واشتباه الطرق.

فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، قال: وحسبك من قبيح ما يلزم من طريقتهم أنا إذا جرينا على ما قالوه والزمننا الناس بما ذكروه لزم من ذلك تكفير العوام جميعاً، لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد، ولو عرض عليهم هذا الطريق ما فهمه أكثرهم، فضلاً عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه أئمتهم في عقائد الدين والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة على وظائف العبادات وملازمة الإنكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشبه والشكوك، فتراهم لا يحيدون عما اعتقدوه ولو قطعوا إرباً إرباً، فهنيئاً لهم هذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كُفِّرَ هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمة فما هذا إلا طي بساط الإسلام وهدم منار الدين. والله المستعان. اهـ.

❏ من أقر الله بالخلق والرزق فعليه أن يقر

بتوحيد الألوهية ❏

❏ أخي المسلم؛ هكذا ترى المعتقد السليم هو ما أخذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وبفهم السلف الصالح، من غير تعقيد، ولا تلبيس، فإن آيات القرآن الكريم واضحة في توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، وتوعد من أشرك

بالله تعالى بحبوط العمل والخسار في الدنيا والآخرة، وكذا أحاديث النبي ﷺ كلها داعية إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ولا سيما أن الناس جميعاً مقرون لله تعالى بالخلق والرزق، فيجب أن يقرروا له بوحدانيته في العبادة وخلوصها له سبحانه، فلا يستغاث بغير الله، ولا يدعى سواه، ولا يخشى إلا الله، ولا يتوجه إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، ولا يُحلف بغيره.

وبالجملة فلا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى من المخلوقين، ومهما كانت منزلة المخلوق فإنه لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل مالك ذلك كله رب العالمين، فهو المتصرف في الكون مدبر الأمر وحده، لا شريك له، فيجب أن تصرف العبادات كلها له وحده لا شريك له.

ويستفاد من الحديث:

١- بيان أن الشرك أعظم الذنوب عند الله تعالى، مع الاعتراف بأنه الخالق الرازق.

٢- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

٣- أن أعظم الذنوب بعد الشرك قتل الولد خشية أن ينقص الرزق بسبب مشاركته لأبيه فيه.

٤- إيذاء الجار بأبلغ الأذى وهو الزنى بحليلته، وذلك يلي قتل الولد في عظم الذنب.

نسال الله تعالى أن يرزقنا التوحيد والإخلاص، وأن يجنبنا الشرك وأهله. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.